﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾ [الصّف: 9]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

إتمامُ هذا الدّين وإظـهـارُه وعـدٌ من ربِّ العالَمين

لمّا ذكر النَّظمُ الكريمُ إرادةَ الكافرينَ إطفاءَ نورِ الكتابِ المُبين، ودعوةِ الإسلام التي هي خيرٌ وسرٌّ كريم، وردَّ عليهم الذِّكرُ الحكيمُ بأنَّ الله ناشرُ نورِه في رُبوع العالَمين؛ ناسبَ أنْ يُؤكِّدَ ذلك المرادَ المُستقيم، بأنَّه الَّذي أرسلَ رسولَه بالهدى، مُظهرًا له على الأديانِ جميعًا، حتّى القيام لله الرَّحمنِ الرَّحيم، أوْ يُعلِّلَ سِرَّ "إخمادِ دَعوتِهم، وأنَّه لا سبيلَ لقَبولِها لَدَى العُقول"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَرۡسَلَ﴾: من (رسل)، وهو أصلٌ واحدٌ مطَّرد مُنقاس يدلُّ على الانبعاث والامتداد، فالرَّسْلُ: السَّيرُ السَّهل، وناقةٌ رَسلةٌ: لا تُكلِّفُكَ سياقًا، وشَعَرٌ رَسْلٌ؛ إذا كان مُسترسِلًا[2]، وتقولُ: جاءَ القومُ أرسالًا: يتبَعُ بعضُهُم بعضًا، وأرسلتُ رسولًا: بعثْتُهُ برسالةٍ يُؤدّيها، فهو فعولٌ بمعنى مَفعول[3]، والمعاني الكلّيَّة للإرسال تتركَّز في الإنفاذِ معَ الحملِ، بمعنى أنْ تُنفِذَ شيئًا مع قيدِ أن تجعلَهُ حامِلًا لأمرٍ، ويلازم هذا المفهومَ التَّحرُّكُ[4]، والمرادُ به في الآية: بعثَ، وأنفذَ إنسانًا برسالةٍ.

2) ﴿بِٱلۡهُدَىٰ﴾: من (هدي)، والهُدَى أصلانِ، أحدُهما: التَّقدُّمُ للإرشاد، والآخَرُ: بعثةٌ لطفٍ[5]، وهَدَيْتُهُ الطَّريقَ أهديه هِدايةً،

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 259.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رسل).
(3) الفيوميّ، المصباح المنير: (رسل).
(4) المصطفويّ، التّحقيق في الكلمات القرآنيّة: 4/ 125.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هدي).

هذه لغةُ الحِجاز، ولغةُ غيرِهم يتعدّى بالحرف، فيقال: هديتُهُ إلى الطَّريق وللطَّريق، وهداهُ اللّه إلى الإيمان هُدى، والهُدى: البيانُ[1]، والمعاني الكلّيَّة للهدى تنصبُّ على بيانِ طريقِ الرُّشدِ والتَّمكُّنِ منَ الوصولِ إلى الشَّيءِ، أي: دلالةً إليه[2]، والمرادُ به في الآيةِ المعنى المصدريُّ على سبيلِ المُبالغة، أوْ بمعنى المفعولِ، أي: ما به الإرشادُ والإيصالُ إلى الحقِّ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

رسـولُ الـهُـدى وديـنُ الـتُّـقى يَعلو، ولا يُعلَى عليه

أي: إنَّ اللّه ﷻ هو الَّذي أرسلَ رسولَه محمَّدًا ﷺ بالقرآنِ، أوِ المعجزةِ عامَّةً، وبالملَّة الحنيفيَّةِ ودينِ الإسلام؛ ليُعْلِيَهُ على جميعِ الأديانِ المُخالفةِ له، ولقد أنجزَ اللّهُ ﷻ وعدَهُ؛ إذْ لم يبقَ دينٌ من الأديانِ إلّا وهو مقهورٌ مغلوبٌ بدينِ الإسلام، فقد هزمَ الأديانَ الباطلةَ، ونسخَ الأديانَ السَّماويَّةَ السّابقة، ولو كرِهَ المشركونَ ذلك؛ لِما فيه من التَّوحيدِ الخالصِ وإبطالِ الشِّرك[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفصلِ ﴿هُوَ﴾:

الانـتـشـارُ الـعـظـيـمُ لـلإسـلام مؤكّدٌ بـظـهـورِه على الأديانِ والأنام

فصلَ النَّظمُ الكريمُ قولَهُ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ عمّا قبلَه؛ لأنَّه بمنزلة التَّأكيد لما تقدَّمَ من أنَّ اللّه مُتِمُّ نورِهِ؛ إذ إتمامُ النّورِ بنشرِ الإسلام في مختلفِ أرجاءِ المَعمورة، فأكَّدَ ذلك الانتشارَ بأنَّ اللّه أرسلَ نبيَّهُ ﷺ بالآياتِ البيِّنات؛ ليكونَ هذا الدّينُ ظاهرًا على غيرِه من الأديان، وما ظهورُه عليها إلّا لانتشارِه وامتدادِه في كلِّ مكان، وما انتشارُهُ أيضًا إلّا لظُهورِه وتفوُّقِه، فبينَ الجُملتَينِ تلازمٌ، فتكونُ الجملةُ مفصولةً لكمالِ الاتِّصال بينهما تأكيدًا وتحقُّقًا،

(1) الفيوميّ، المصباح المنير: (هدي).
(2) المصطفويّ، التّحقيق في الكلمات القرآنيّة: 11/ 233.
(3) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 1401.

قال ابن عطيَّة: "هذا تأكيدٌ لأمرِ الرِّسالة وشدٌّ لأزْرِها، كما يقولُ الإنسانُ لأمرٍ يُثبِتُهُ، ويُقوّيه: أنا فعلتُهُ، أي: فمَن يَقدِرُ على مُعارضته؛ فليُعارِض"(1)، في حين جعلَها ابنُ عاشور تأكيدًا وتعليلًا بقوله: "هَذا زيادَةُ تَحَدٍّ لِلمُشركينَ وأحلافِهم مِن أهلِ الكِتابِ، فيه تَقويَةٌ لِمَضمونِ قَولِه: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، وفيه مَعنَى التَّعليلِ لِلجُملَةِ الَّتي قَبلَهُ"(2).

دلالةُ المُسنَدِ إليه ضَميرًا:

نفيُ الرَّيبِ في المُرسِل دليلٌ قاطِعٌ على صدقِ المُرسَل

أوردَ النَّظمُ الكريمُ المسندَ إليه ضميرًا، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾؛ للدَّلالة على الاختصاصِ والانحصار؛ إذ تعريفُ المسنَدِ إليه معَ الخبرِ الفعليِّ مفيدٌ لنفيِ رَيبِ مَن ارتابَ، في أنَّ اللّٰه تعالى هو الذي أرسلَ النَّبيَّ محمَّدًا ﷺ، فيكونُ دالًّا على أنَّه هو المُرسِلُ لا غيرُه، وفي ذلك دلالةٌ على صدقِ المُرسَل، كما أفاد تقديمُ المسنَدِ إليه على الخبرِ الفعليِّ التَّوكيدَ والتَّقوية، والمرادُ بالضَّمير الغائبِ اللّٰهُ تعالى، الَّذي أخبرَ عن نفسِه بأنَّه متمُّ نورِه، فاللّٰه الَّذي تعهَّدَ بإتمام نورِه هو الَّذي أرسلَهُ لا غيرُهُ، الذي "ثبتَ أنَّه جامعٌ لصفاتِ الجمال والجَلال وحدَهُ، من غيرِ أن يكونَ له شريكٌ أوْ وزيرٌ"(3).

دلالةُ الاسمِ الموصول:

اللّهُ الجليلُ العظيم هو الَّذي يختارُ النَّبيَّ القَويم

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ عن المُسنَد بالاسم الموصول، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾؛ للدَّلالة على عِظَمِ شأنِه وجَلالةِ قَدرِه، فلم يقُل: (هو أرسلَ رسولَهُ)، بل أتى بالموصولِ تفخيمًا وتعظيمًا لقَدْرِه، حتّى إنَّه من جلالتِه وإبهامِ شأنِه يحتاجُ لجملةِ صلةٍ تعملُ على الكشفِ عنه، كما يوحي الموصولُ بصلتِه أنَّ الَّذي يُبنى عليه من جنسِ العظَمة

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 304.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 192.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 31.

والفخامةِ والكمال، فيَتوقَّعُ السّامعُ من سَماع التَّركيب أنَّ الذي يَعْقبُهُ يكونُ خيرًا للمُرسَل وإعلاءً لقَدْره أيضًا، وقال ابن عاشور: "واجتلابُ اسمُ المَوصولِ؛ لِلإيماءِ إلَى أنَّ مَضمونَ الصِّلَةِ عِلَّةٌ لِلجُملَةِ الَّتي بُنيَت عليها هَذِه الجُملَةُ"[1]، وهي جملة: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾.

دلالةُ الحصرِ في ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ﴾:

عرَّفَ النَّظمُ الكريمُ طَرَفَي الإسنادِ - ﴿هُوَ﴾ و﴿ٱلَّذِىٓ﴾ - في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾؛ للدَّلالةِ على الحصر والقَصر، "فَقَد أفادَ تَعريفُ الجُزأينِ في قَولِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ قَصرًا إضافيًّا؛ لِقَلْبِ زَعْمِ الكافِرينَ أنَّ محمَّدًا ﷺ أتَى مِن قِبَلِ نَفسِهِ، أي: اللّهُ لا غَيْرُهُ أرسلَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالهُدَى ودينِ الحَقِّ، وأنَّ شَيْئًا تَولَّى اللّهُ فِعْلَهُ، لا يَستَطيعُ أحَدٌ أن يُزيلَهُ"[2]، فيكون اللّهُ هو المُرسِلَ لرسولِه لا غيرُه ممّا تتَّهمونَهُ به من اتِّهامات، أوْ تنكرونَهُ فيه من علاماتٍ مكتوبةٍ في كُتُبكم تُنبئُ عنه وعن خصالِه الشَّريفة، قال ابن عاشور: "﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ صيغةُ قَصرٍ، أي: هو لا غَيْرُهُ أرْسَلَ رَسولَهُ بِهَذا النّورِ، فَكَيفَ يَترُكُ مُعانِديه يُطْفِئونَهُ؟"[3].

انحصارُ الإرسالِ باللهِ دالٌّ على صدقِ النَّبيِّ في مُدَّعاه

دلالةُ جملةِ الصِّلة ﴿أَرْسَلَ﴾:

اختارَ النَّظمُ الكريمُ الجملةَ الفعليَّةَ الماضيَةَ صلةً للموصولِ، في قولِه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾؛ للدَّلالة على حدوثِ ذلك الإرسال ووجودِه بعدَ عدَم؛ إذ تعلَّقتِ القدرةُ التَّنجيزيَّةُ بإرسالِه بعدَ أن لم يكُن، وكانَ الفعلُ ماضيًا؛ للدَّلالة على أنَّ اختيارَهُ رسولًا منذُ زمنٍ قديم سَحيق، فقد بشَّر به الأنبياءُ، وتكلَّم فيه المُرسَلون منذ القِدَم، فكونُهُ رسولًا أمرٌ عتيقٌ، تواطأ عليه المُخبِرونَ، وذَكَّر به المُبشِّرون.

قِدَمُ الرِّسالةِ الإسلاميَّةِ تمثَّلَ في البِشاراتِ والكُتُبِ السَّماويَّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/ 173.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 192.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/ 173.

دلالةُ ذِكرِ الوصفِ (رَسول):

التَّحاشي عن التَّصريح فيه تعظيمٌ بالتَّلميح

عندما عدَّى النَّظمُ الكريمُ الفعلَ ﴿أَرۡسَلَ﴾ ذكرَ وصفَ (الرَّسول) مفعولًا به في قولِه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾، دونَ التَّصريحِ باسمِ الرَّسولِ العَلَم، فلم يقُل: (هو الَّذي أرسلَ محمَّدًا) مثلًا؛ إكرامًا لشأنِ هذا النَّبيِّ ﷺ، وإجلالًا لقَدْرِه الشَّريف، فلم يُصرِّحْ باسمِه مباشرةً، بل أعطاهُ أغلى الأوصافِ وأجملَ النُّعوت، وهو (الرَّسول).

دلالةُ صيغةِ (فَعول):

المُبالغةُ في الاتِّصاف تدلُّ على وجوبِ الاعتراف

عبَّر النظمُ الكريمُ عن المُرسَل بصيغةِ (فَعول)، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾؛ للدَّلالةِ على المُبالغة، فلم يقلِ النَّظمُ (المُرسَل) بصيغة المفعول، بل أوردَ ما يُفيد المُبالغةَ في تحقُّقِ الرِّسالة فيه؛ ردًّا على مَن توهَّمَ ضعفَ الرِّسالةِ فيه، وأنَّه ليس مُساويًا للأنبياءِ السّابقين في الدَّرجة، فبيَّنَ بالصّيغةِ أنَّه يعلوهم فَضْلًا ومِقدارًا، كما أنَّ تعديةَ الفعل ﴿أَرۡسَلَ﴾ إلى الذّاتِ الموصوفةِ بالرِّسالة القويَّة يقوّي الإرسالَ الإلهيَّ له، بحيثُ لا يبقَى أدنى ريبٍ في اختيارِ الله تعالى لهُ رَسولًا.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿رَسُولَهُۥ﴾:

إضافة الرَّسول إلى الله، شهادةٌ له واعتراف

أضافَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ (الرَّسول)، إلى ضميرِ الغائب العائدِ إلى الله تعالى، في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾؛ للدَّلالة على التَّشريفِ والتَّكريم لهذا الرَّسول المبعوثِ رحمةً للعالَمين، فكيف يضيفُ الله تعالى الرَّسولَ إلى ذاته الجليلة دلالةً على تصديقِه والشَّهادةِ له بأنَّه الرَّسولُ المختار من الله تعالى، وتكفرونَ برسالتِه، ولا تُصدِّقون بالآيات الَّتي امتلأتْ بها كتبُكُم الَّتي تُبشِّرُ بمَبعثِهِ؟ وعظَّم النَّظمُ الكريمُ المُرسِلَ الجليلَ أوَّلًا، ثمَّ عظَّم مِن شأنِ الرَّسولِ ﷺ ثانيًا، ثمَّ إنَّ

النَّظمَ الكريمَ "لم يذكر حرفَ الغايةِ؛ إشارةً إلى عمومِ الإرسالِ إلى كلِّ مَن شملَهُ المُلك"[1].

معنى (الباء) ودلالتُها في ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾:

التَّلبُّسُ بالهُدى أفضلُ خيرٍ يُرتَجى

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بـ(الباء) في قولِه تعالى: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾؛ للدَّلالةِ على المُلابَسة والمُصاحبة، والتَّقديرُ: (أرسلَهُ مُلتبسًا بالهُدى)، قال ابنُ عاشور: "والباءُ في ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ للمُصاحَبَةِ، وهو مُتَعَلِّقٌ بـ﴿أَرْسَلَ﴾"[2]، فيكون في ذلك مدحٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ ردًّا على ما اتَّهموهُ به منَ السِّحرِ المُبين، وبيانٌ لما أُرسِلَ معه من خيرٍ ونورٍ وضياء يُهتدَى به، والملابسةُ والامتزاجُ بالشَّيء حالَ الإرسالِ يكونُ دالًّا على أنَّ هذا النَّبيَّ الكريم ﷺ لا يخرجُ عن الرِّشاد والهداية قيدَ أُنمُلة، وأجازَ البيضاويُّ السَّببيَّةَ، فقال: "مُلتبِسًا به، أو بسببِه، أو لأجلِه"[3]، قال القونويُّ: "رَجَّحَ كونَ (الباءِ) للمُلابسة؛ لأنَّها تُفيدُ كونَه ﷺ هاديًا على الدَّوام، لا ينفكُّ عنها أصلًا، ثمَّ جوَّزَ كونَها للسَّببيَّة أو للتَّعليل، وهما متقاربان، والفرقُ أنَّ السَّببَ مُفضٍ إلى الشَّيءِ في الجُمْلَة، والعِلَّة مؤثِّرةٌ فيه، فهو يَهْدي إلى الحقِّ، ويوصِله إليه بالسَّببيَّة، أو هو ﷺ يَهْدي - أي: يُرشدُ - إلى ما يدلُّ على الحقِّ بالعِلِّيَّة، فعلى هذَين الاحتمالين يكونُ الظَّرفُ لغوًا"[4]، وعلى الاحتمالِ الأوَّلِ يكونُ مُستقرًّا، وأنَّ موقعَ الجارِّ والمجرورِ (بالهدى) حالٌ، فيكونُ المُرسَلُ عينَ الهُدى، وليس مُجرَّدَ هادٍ من الهُداة.

دلالةُ تعريفِ (الهُدى):

للهدايةِ أنوارٌ، مَن آمنَ بها؛ نجا، وفازَ بالأسرار

عرَّفَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ (الهدى)، في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾؛ للدَّلالة على الجنسِ والحقيقة، الصّادقِ بكلِّ ما

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 31.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 201.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 131.
(4) حاشية القونويّ وابن التّمجيد على تفسير البيضاوي: 18/ 95.

يُهتدَى به إلى خيرٍ وفضلٍ، فمِن مصاديقِه المعجزةُ؛ لأنَّها تَهدي، وتدلُّ على صدقِ مُدَّعي النُّبوَّة، والقرآنُ الكريم؛ لأنَّه يَهدي بآياته وأحكامِه؛ لما فيه خيرُ الدُّنيا والآخرة، وأجاز الرّازيُّ أن يكون التَّعريف للجنسِ والعهدِ أيضًا، فقال: "والألِفُ واللّامُ في (الهُدَى) يُحْتَمَلُ أن تَكونَ لِلاستِغراقِ، أي: كُلُّ ما هو هُدًى، ويُحتَمَلُ أن تَكونَ لِلعَهدِ"[1]، وفي استعمال النَّظمِ الكريم (الهدى) مصدرًا، وجَعْلِها مُصاحِبةً للرَّسول مبالغةٌ، فهو لا يُصاحِبُ جزءًا من الهداية، بل حقيقةُ الهدايةِ تصاحبهُ، وتمتزجُ بإرسالِه، ففيه مبالغةٌ واضحةٌ، كما أنَّ: "إطلاقَ (الهدى) على (القُرْآن) للمُبالَغَة، وكذا الكَلام في (المعجزة)، ولا يؤَوَّل بـ(الهادي) أوْ بتقدير المُضاف؛ لأنَّه يُنافي المُبالَغَة"[2].

دلالةُ الاستعارةِ في (الهُدى):

الاتِّهامُ بالخِداعِ والهَوى يقابلُهُ التَّصديقُ له بالهُدى

استعارَ النَّظمُ القرآنيُّ (الهدى)، في قولِه تعالى: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ للمعجزة والقرآن؛ لأنَّ "(الهُدى) بمَعنى: ما به الاهتداءُ إلى الصِّراط المستقيم"[3]، فقد شبَّهَ كلًّا منهما بالهُدى، ثمَّ حذفَهُ، وأبقى المشبَّه به على سبيلِ الاستعارةِ التَّصريحيَّة، والغرضُ منها الرَّدُّ على ما زعمَهُ الكفّار، مِن أنَّ ما يأتي به من ربِّه سحرٌ وخِداع وتمويهٌ وإضلالٌ، قال الرّازيُّ: "و(الهُدَى) يُحتَمَلُ أن يَكونَ هو القُرآنَ، كَما قال تعالى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: 185]، ويُحتَمَلُ أن يَكونَ (الهُدَى) هو المُعجِزَةُ، أي: أرسَلَهُ بِالحَقِّ، أي: مَعَ الحَقِّ"[4]، ويحتملُ أن يكونَ المرادُ بـ (الهُدى) التَّوحيدَ[5]، وذهبَ ابنُ عاشورٍ إلى أنَّه: "عَبَّرَ عَنِ الإسلامِ بِالهُدى

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 88.
(2) حاشية القونويّ وابن التّمجيد على تفسير البيضاوي: 19/ 73.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 259.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 88.
(5) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 344.

ودينِ الحَقِّ؛ تَنويهًا بِفَضلِهِ، وتَعريضًا بِأنَّ ما هُم عليه لَيسَ بِهُدًى ولا حَقٍّ"[1].

معنى (الواو) ودِلالتُها في ﴿وَدِينِ﴾:

الاعتقادُ بالدّينِ الحقِّ يكونُ بالاهتداءِ إلى طريقِ الصِّدق

عطفَ النَّظمُ الكريمُ (دين الحق) على (الهدى)، في قولِه تعالى: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾؛ للدَّلالة على المغايرةِ بين المُتعاطِفَين، فـ (الهدى) مصدرٌ أُريدَ به القرآنُ الكريم أوِ المعجزةُ، اللَّذان يَهديانِ النّاسَ إلى التَّصديقِ والإيمان، و(دينُ الحقِّ) أُريدَ به الإسلام، والغرضُ من العطفِ: بيانُ أثرِ القرآن والمُعجزات في الوصولِ إلى الاعتقادِ بالدّين الحقِّ، فهو مِن عطف المسبَّب على السَّبب، فلولا الهُدى؛ لم يكن ثَمَّةَ اعتقادٌ بالدّينِ الحقِّ، كما أفادَ العطفُ مصاحبةَ المُرسَلِ للدّين الحقِّ عند الإرسالِ، فهو مُرسَلٌ مُلتبِسًا بالدّين الحقِّ، لا يفارقُهُ، ولا ينفكُّ عنه، وفي جَعْلِ الهدى والدّين الحقِّ مُلابسَينِ للرَّسول دلالةٌ على اشتمالِ الهُدى والدّينِ الحقِّ على الرَّسولِ، بحيثُ يكونانِ مُحيطَينِ به ثابتَينِ فيه.

دلالةُ المضافِ (دين):

الإسلامُ الحنيف خضوعٌ وطاعةٌ للحَقِّ المُنيف

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بلفظِ (الدّين)، في قولِه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾؛ للدَّلالةِ به على الإسلام، وإنَّما عدلَ النَّظمُ الكريمُ عن لفظِ الإسلام إلى لفظِ (دين)؛ لغرضِ الوصول إلى تخصيصِه بالحقِّ؛ احترازًا عن الدّينِ غيرِ الحقِّ، فلو قال: (الإسلام الحق)؛ لكان موهِمًا أنَّ هنالك إسلامًا غيرَ حقٍّ، فاستبدلَ النَّظمُ الإسلامَ بدينٍ، كما استبدل القرآنَ والمعجزةَ بلفظ (الهدى)؛ ليكون كلٌّ من الاستبدالَين مُشيرَينِ إلى الغرضِ من المستبدَل منه، فالغرضُ من القرآن والمعجزة الهُدى بهما، والغَرَضُ من الإسلام الاعتقادُ بالحقِّ، ولفظ (دين) يدلُّ على الخضوعِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/ 173.

والطّاعة، فهو دينٌ حقٌّ، وخضوعٌ وطاعةٌ للحقِّ تعالى، فيكون الإسلامُ عبارةً عن طاعةِ الحقِّ.

دلالةُ المضافِ إليه ﴿ٱلۡحَقِّ﴾:

يحتملُ ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ الواقعُ مُضافًا إليه، في قولِه تعالى: ﴿بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ أنْ يُرادَ به الشَّيءُ الثّابتُ، وبناءً عليه: فالإضافةُ من إضافةِ الموصوفِ إلى الصِّفة، وأنْ يُرادَ به الذّاتُ الإلَهيَّة الحَقَّة الثّابتة، وعليه: فالإضافةُ حقيقيَّةٌ بمعنى (اللّام)، أي: دينُ اللّه الحقِّ، واختارَ ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ دونَ بقيَّةِ أسمائِه الجليلةِ؛ ليدلَّ على ثبوتِ هذا الدّين، وأنَّه حقٌّ لنزولِه من الحقِّ تعالى، قال البقاعيُّ: "الحقُّ، أي: المَلِك الَّذي ثباتُهُ لا يُدانيه ثباتٌ، فلا ثباتَ لغيرِه، فثَباتُ هذا الدّينِ بثباتِه، ويجوزُ أن يكونَ المعنى: والدّينُ الَّذي هو الحقُّ، الثّابتُ في الحَقّيَّةِ، الكاملُ فيها كمالًا ليسَ لغيرِه، فيكونَ من إضافةِ الموصوفِ إلى صفتِه؛ إشارةً إلى شِدَّةِ التباسِه بها"[1]

دينُ اللهِ الحقُّ يهدي للخيرِ والصِّدق

دلالةُ العدولِ من التَّوصيفِ إلى الإضافةِ في ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾:

أضافَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ (دين) إلى ﴿ٱلۡحَقِّ﴾، في قولِه تعالى: ﴿أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾؛ للدَّلالةِ على تعيينِ الدّين بإضافةِ الموصوفِ إلى الصِّفة[2]؛ إذِ الأصلُ (الدّينُ الحقُّ)، لكنْ عدلَ عن الوصفِ الكاشفِ إلى الإضافةِ؛ للدَّلالة على تعيينه ببيان أنَّه الحقُّ، بخلافِ التَّركيبِ الوصفيِّ الَّذي يَلزَمُ منه أنَّ تلك الأديانَ السَّماويَّةَ ليستْ حقًّا، كما دلَّ العدولُ على التَّركيزِ على الحقِّ دونَ المُضاف، بخلافِ التَّركيبِ الوصفيِّ الذي يكونُ الموصوفُ محطَّ الاهتمام فيه، وتأتي الصِّفةُ للكشفِ عنه، واكتسبَ المضافُ من المضافِ إليه التَّأييدَ والتَّسديد بأنَّه الدّينُ الثّابت؛ إذِ الحقُّ هو

ثبوتُ دينِ الإسلامِ ونسخُ بقيَّةِ أديانِ الأنام

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 31.

(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 259.

الشَّيءُ الثّابتُ الَّذي لا يزول، بخلافِ بقيَّة الأديان التي بظهورِه صارَتْ إلى زَوالٍ ونَسْخٍ.

دلالةُ تقديم (الهدى) على ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾:

الـهـدايـةُ سببٌ لاعتناقِ الدّيانة

قدَّمَ النَّظمُ الكريمُ (الهُدى) على ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾، في قولِه تعالى: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾؛ لأنَّ الهدايةَ والإرشادَ إلى اللّه تعالى يُؤدّي إلى دينِ الحقِّ، فهو من عطفِ المُسبَّب على السَّبب؛ لأنَّ الدّينَ هو مجموعةٌ من القوانين والأحكام الشرعيَّة والأعمالِ التَّكليفيَّة، معَ ما يتضمَّنُهُ من إخبارٍ بالغيب، فما لم يتقدَّمْهُ اهتداءٌ بالأدلَّة العقليَّة، ورؤيةٌ للمعجزاتِ النَّبويَّة، ومعرفةٌ بأوجه الاستدلالات القرآنيَّة، فإنَّه لن تكونَ هنالك طاعةٌ وخضوعٌ، لذلك عبَّر عنه بـ ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾، أي: يُتديَّنُ به، ويُخضَعُ له بعدَ حصولِ الهداية، كما أنَّ تقديم (الهداية)، وهي الدَّلالةُ على الحقِّ بلُطْفٍ يقودُ للخضوعِ القلبيِّ والجوارحيِّ لكلِّ ما يطلبُهُ الدّينُ الحقُّ.

معنى (اللّام) ودلالتُها في ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾:

تعليلُ الأفعالِ بالحِكمة محقِّقٌ ثبوتَها بلا كُلفةٍ

علَّلَ النَّظمُ الكريمُ فعلَ الإرسالِ بـ(اللّام)[1]، في قولِه تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، ولمّا كانت أفعالُ اللّه تعالى لا تُعلَّلُ بالأغراض؛ لاستلزامِ النَّقصِ المُحالِ عليه؛ كانتِ (اللّام) للدَّلالة على الصَّيرورة والمآل، فتكون هنالك استعارةٌ تبعيَّةٌ بالحرف؛ إذ شبَّه عاقبةَ الشَّيء ومَصيرَه بالعِلَّة، بجامعِ التَّرتُّبِ في كلٍّ على الفعلِ، ونتلمَّسُ في تلك العِلَّة - وإن كانتْ جعليَّةً - أنَّ الإظهارَ على الأديان كلِّها كانَ باعثًا للإرسال، وبما أنَّ حكمةَ اللّه تعالى في الفعلِ لا تتخلَّفُ، فإنَّ الإظهار واقعٌ لا محالةَ، فتكونُ اللّامُ بمنزلةِ التَّوكيدِ لحصولِ الإظهار والإعلاء؛ إذِ المولى تعالى لا يحتاجُ إلى تعليل أفعالِه إلّا لبيان أنَّ تلك العللَ واقعةٌ لا محالةَ، ومُترتِّبةٌ على الفعل بلا كُلفةٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 202.

ومَشقَّة، ولذا قال ابن عاشور: "وتَعليلُ ذَلِكَ بِقَولِهِ: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، إعلامٌ بِأنَّ اللّهَ أرادَ ظُهورَ هَذا الدّينِ وانتِشارَهُ؛ كَيلا يَطمَعوا أنْ يَنالَهُ ما نالَ دينَ عيسَى ﷺ مِنَ القَمْعِ والخَفْتِ"(1).

دلالةُ الكنايةِ في (يُظهره):

إظـهـارُ الـدّيـن بالحُجَّة والعقلِ واليقين

كنَّى النَّظمُ الكريمُ بفعلِ الإظهارِ، في قولِه تعالى: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ عن الانتصارِ والتَّفوُّقِ والعُلوِّ(2)، فـ"يجوزُ أنْ يكونَ من الغلَبة والمُعاونة، أي: ليُعليَه على الدّينِ كلِّه، ويَغلِبَه أيضًا، وأن يكونَ من البُروز وعدمِ الخفاء"(3)، قال الرّازيُّ: "وتَحقيقُ القَولِ فيه: أنَّ مَن غَلَبَ غَيْرَهُ؛ حَصَلَتْ لَهُ صِفَةُ كَمالٍ، ومَن كانَ كذلك؛ أظهرَ نفسَهُ، ومنه صارَ مَغْلوبًا، وصارَ كالنّاقِصِ، والنّاقِصُ لا يُظْهِرُ نَفْسَهُ، ويُخْفي نُقْصانَهُ، فَصارَ الظُّهورُ كِنايَةً لِلغَلَبَةِ؛ لكونه من لوازمِها"(4)؛ إذ يلزمُ من إظهارِه على الأديانِ كلِّها انتصارُهُ بالحُجَّة والبُرهان والأدلَّةِ العقليَّة، وتفوُّقِه عليهم في سوحِ القتالِ معَ قلَّةِ العُدَّة والعَدَد، وجعلَهُ ابنُ عاشور كنايةً عن: "الارتِفاعِ الحَقيقيِّ، ثُمَّ أُطْلِقَ مَجازًا عَنِ الشَّرَفِ، فَصارَ (أظْهَرَهُ)، بِمَعنَى: أعلاهُ، أي: ليُشَرِّفَهُ على الأدْيانِ كُلِّها"(5).

دلالةُ فعلِ (الإظهار) مادَّةً وصيغةً:

كـلَّـمـا جـــدَّدوا الإطـفـاءَ؛ جـدَّدَ المـــولَى الإظـهـارَ والاستعلاء

عبَّر النَّظمُ القرآنيُّ بفعلِ (الإظهار) المُضارع، في قولِه تعالى: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ هذا الدّينَ يتعرَّضُ من أهل الكتابِ إلى محاولاتِ الإخفاء، من خلال تكذيبِه وافتراءِ الكذب على اللّه تعالى، بأنَّه لم يُبَشِّر بنبوَّتِه ولا بدينِه، فهم يَعمَدون إلى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 192.
(2) حاشيتا القونويّ وابن التّمجيد على تفسير البيضاوي: 18/ 95.
(3) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 3/ 19.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/ 532.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 202.

إطفاءِ جذوتِه وإخمادِ نوره، فكان اختيارُ فعلِ (الإظهار) مُقابلًا لفعلِ (الإطفاء) الدّالِّ على الإخفاء، فيكون بينَهما طباقٌ خفيٌّ، والإظهارُ يكون بانتشارِه وامتدادِه وسَماعِ العالمينَ به، مع التَّفوُّقِ والانتصارِ بالحُجَّة والسّيفِ والبُرهان، وقال الواحديُّ: "قالَ أهلُ المعاني: معناه: ليُعليَ دينَ الإسلام على كلِّ دينٍ بالحُجَّة والغَلَبة، وقد صحَّ ظهورُهُ عليها، فحُجَّة هذا الدّينِ أقوى الحُجَج"[1]، في حين رأى ابنُ عاشور أنَّ الفعلَ مُضمِّنٌ معنى (النَّصر)؛ لتعديتِه بـ(على): "أوِ التَّفضيلِ، أي: ليَنْصُرَهُ على الأديانِ كُلِّها، أي: ليَكونَ أشرَفَ الأديانِ وأغلَبَها"[2]، واختارَ النَّظمُ الكريمُ صيغةَ الفعلِ المضارع؛ للدَّلالة على التَّجدُّدِ الاستمراريِّ؛ إذ هم يُجدِّدونَ الإطفاء، واللّهُ تعالى يُجدِّدُ الإظهار، فيكون إطفاؤُهم إظهارًا من حيثُ لا يَشعُرونَ.

تحديدُ مرجعِ ضميرِ الغَيبةِ في ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾:

جوَّزَ المُفسِّرونَ في مَرجِعِ ضميرِ الغَيبةِ المفعولِ، في قولِه تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، عودتَهُ إمّا إلى الرَّسولِ ﷺ، وحينَئِذٍ فإظهارُهُ يكونُ على أهلِ الأديان كلِّها؛ ليكونَ إظهارَ ذاتٍ على ذواتٍ، وإمّا أنَّه عائدٌ إلى الدّين، وهو الرّاجحُ، قال الرّازيُّ: "وأكْثَرُ المُفَسِّرينَ على أنَّ (الهاءَ) في قَولِه: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ راجِعَةٌ إلَى الرَّسولِ، والأظهَرُ أنَّهُ راجِعٌ إلَى دينِ الحَقِّ، أي: أرسَلَ الرَّسولَ بِالدّينِ الحَقِّ؛ ليُظهِرَهُ، أي: ليُظْهِرَ الدّينَ الحَقَّ على الأديانِ، وعلى هَذا فَيُحتَمَلُ أن يَكونَ الفاعِلُ لِلإظهارِ هو اللّهُ، ويُحتَمَلُ أن يَكونَ هو النَّبيَّ، أي: ليُظْهِرَ النَّبيُّ دينَ الحَقِّ"[3]، وإنْ كان بينَهما تلازمٌ، فالمرادُ حينَئِذٍ إظهارُ دينِ الإسلام على سائرِ الأديان بالنَّسخ والانتشارِ وقوَّةِ الحُجَّةِ والبيان، قال الزَّمخشريُّ: "ليُظهِرَ الرَّسولَ

عُلوُّ الدّينِ أو رسولِه تلازُمٌ لا سبيلَ للشَّكِّ فيه

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 10/ 391.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/ 173.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 88.

ﷺ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، على أهلِ الأديانِ كلِّهم، أو ليُظهِرَ دينَ الحقِّ على كلِّ دينٍ"[1].

معنى ﴿عَلَى﴾ ودلالتُها:

الاعتلاءُ على الأشياء استمكانٌ وسَيطرةٌ بِلا خَفاء

استعملَ النَّظمُ الكريمُ حرفَ الجرِّ ﴿عَلَى﴾، في قولِه تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؛ للدَّلالةِ على الاستعلاءِ المجازيِّ؛ إذ عُلوُّ دينِ الحقِّ على بقيَّةِ الأديانِ المَنسوخةِ بظُهورِه وبروزِه لا يكونُ استعلاءً حقيقيًّا؛ والغرضُ من ذلك تنزيلُ دينِ الحقِّ وبقيَّةِ الأديانِ بهيئةِ جسمَينِ، أحدُهما: يظهرُ، وينتصرُ، ويتفوَّقُ على الآخر، فيكونُ الدّينُ الحقُّ بمنزلةِ المُعتلي فوقَ تلك الأديانِ المُسيطرِ عليها لقوَّةِ حُجَّتِه وعظيمِ بُرهانِه، قال البيضاويُّ: "ليَغلِبَهُ على جنسِ الدّينِ كلِّه بنَسْخِ ما كانَ حقًّا وإظهارِ فسادِ ما كانَ باطِلًا"[2].

معنى التَّعريفِ في ﴿ٱلدِّينِ﴾:

الأديانُ الحقَّةُ منسوخةٌ، والأديانُ الباطلةُ مَشروحةٌ

عرَّفَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿ٱلدِّينِ﴾، في قولِه تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؛ للدَّلالة على الاستغراقِ والشُّمول بقرينةِ التَّأكيدِ بـ ﴿كُلِّهِۦ﴾، قال ابن عاشور: "أي: أرسَلَهُ بذَلِكَ؛ ليُظْهِرَ هَذا الدّينَ على جَميعِ الأديانِ الإلَهيَّةِ السّالِفَةِ، ولِذَلِكَ أُكِّدَ بِـ ﴿كُلِّهِۦ﴾؛ لأنَّهُ في مَعْنَى الجمعِ"[3]، أي: كافَّة ما يُسمَّى دينًا، ويُخضَعُ له، ويُطاع، سواءٌ كان دينًا سماويًّا أم لا، قال الزَّمخشريُّ: "﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على جنسِ الدّينِ كلِّه، يريدُ: الأديانَ المختلفةَ من أديانِ المُشركينَ والجاحدينَ من أهلِ الكتاب"[4]، ولم يَصِفْ، أو يُضِف النَّظمُ الكريمُ الدّينَ إلى الباطلِ مُقابِلًا للحقِّ في قوله: (دين الحق)؛ للدَّلالة على أنَّ بعض الأديانِ – وهي السَّماويَّةُ – حقَّةٌ أيضًا، لكنَّها

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 265.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 131.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 202.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 346.

بظهورِ هذا الدّينِ بطَلتْ، ونُسِخت، ولا يتَّصفُ بالثُّبوت والدَّوام إلّا هذا الدّينُ العظيم.

دلالةُ التَّوكيدِ بـ ﴿كُلِّهِۦ﴾:

أكَّدَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿ٱلدِّينِ﴾ بلفظِ ﴿كُلِّهِۦ﴾، في قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؛ للدَّلالةِ على رفعِ توهُّم عدمِ الشُّمول المستفادِ من تعريفِ الاستغراق، وليُفيدَ التَّوكيدُ الكليُّ الاستغراقَ الإفراديَّ للأديانِ جميعِها، والاستغراقَ في أحكامِ كلِّ دينٍ من تلك الأديانِ بتفاصيلِها، فهو كما يتفوَّقُ على كافَّةِ الأديان، فإنَّه يتفوَّقُ على كلِّ دينٍ على حِدةٍ بمكوِّناته وأحكامه، فكلُّ حُكمٍ من أحكامِ هذا الدّين مُتفوِّقٌ على كلِّ حُكمٍ من أحكامِ تلك الأديان، وبذا كان ناسِخًا لها، قال ابنُ عطية في بيانِ فائدةِ الكلّيَّة: "لفظٌ يصلحُ للعُموم، وأنْ يكون المعنى: أوْ لا يَبقى موضعٌ فيه دينٌ غيرُ الإسلام، وهذا لا يكونُ إلّا عندَ نُزول عيسى ابنِ مريمَ، ويحتملُ أنْ يكون المعنى: أنْ يُظهِرَه حتّى لا يوجدَ دينٌ إلّا الإسلامُ أظهرُ منه، وهذا قد كانَ ووُجِد"[1].

التَّفوُّقُ على الأديانِ بمُجمَلِها والعُلوُّ على الأحكامِ بتفاصيلِها

دلالةُ (الواو) في ﴿وَلَوْ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بـ(الواو)، في قولِه تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾؛ للدَّلالة إمّا على العطف أوْ على الحال، وعلى كلا المعنَيين فإنَّ هذا الدّين ظاهرٌ على بقيَّة الأديان في حالةِ الكراهةِ لذلك، فكيف إذا لم يكُنْ في حالةِ الكراهة، ففي العطف أو الحالِ توكيدٌ لذلك الظُّهورِ والتَّفوُّق.

ظهورُ هذا الدّين حتَّى مع كراهةِ المُشركين

دلالةُ (لو) الشَّرطيَّةِ أوِ الوَصليَّة:

اختارَ النَّظمُ الكريمُ (لو)، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾؛ للدَّلالة إمّا على الشَّرطيَّة، أوْ أنَّها (لو) الوصليَّة، والغرضُ من ذلك التَّعليقِ أوِ الوصلِ؛ الإظهارُ بحالةِ الكراهة،

تَيئيسُ المشركينَ دعوةٌ للتَّفكيرِ في هذا الدّين

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 304.

وتيئيسُ الكارهينَ ظهورَ هذا الدّينِ وانتشارَهُ، وفيه دعوةٌ لما يَنبغي أنْ يقوموا به إزاءَ هذا الدّين.

دلالةُ الفعلِ ﴿كَرِهَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

كراهةُ المشركين ليستْ مَبنيَّةً على بُرهانٍ مَتين

استعملَ النَّظمُ الكريمُ الفعلَ الماضي ﴿كَرِهَ﴾، في قولِه تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ بُغضَهم لهذا الدّينِ وظُهورِه لم يكن إلّا عن أمرٍ مُتعلِّقٍ بهم، جُحودًا واستكبارًا وغُرورًا؛ إذ لم يَجِدوا في الدّين عَيْبًا أو نَقْصًا، فبَغَضوه، وإنَّما هم كَرِهوه لأمرٍ مُتعلِّق بهم، فلم تكنْ كراهتُهم عقليَّةً أوْ مبنيَّةً على دليلٍ صحيحٍ، واختارَ النَّظمُ الكريمُ صيغةَ الفعلِ الماضي؛ لبيانِ أنَّ كراهيتَهم لهذا الدّين أمرٌ متحقِّقٌ ومُتأصِّلٌ فيهم، وأنَّه مقطوعٌ بوقوعِهِ.

دلالةُ التَّعريفِ والجمعِ في ﴿ٱلْمُشْرِكُونَ﴾:

التَّقاطُعُ التّامُّ بينَ الإشراكِ وتوحيدِ الإسلام

استعملَ النَّظمُ الجليل لفظَ ﴿ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ مُعرَّفًا مَجموعًا، في قولِه تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على الاستغراق والشُّمول بقرينةِ الجمع، فلو أطبقَ المشركونَ كافَّةً على إخفاتِ صَوْتِ الإسلام ومُحاربتِه؛ فإنَّ أمرَ هذا الدّين ظاهرٌ، وتحتملُ أنْ تكون (أل) موصولةً، والتَّقديرُ: (الذين أشركوا)؛ فيكون تعليلًا للكراهة؛ إذِ الكراهةُ لظهورِ هذا الدّين؛ بسببِ إشراكِهم باللّه تعالى وعدمِ توحيده، ودينُ الإسلام قائمٌ على التَّوحيدِ الخالصِ للّه تعالى، فيكونُ هنالك تقاطعٌ تامٌّ بين إشراكِهم وبينَ الإسلامِ الحَنيف.

دلالةُ اسمِ الفاعل ﴿ٱلْمُشْرِكُونَ﴾:

شأنُ المُشركين مُجانبةُ الإخلاصِ لربِّ العالَمين

اختارَ النَّظمُ الكريمُ صيغةَ اسم الفاعل، في قولِه تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾؛ للدَّلالة على الذَّواتِ المتَّصفةِ بحدثِ الإشراك القائم فيهم على سبيلِ التَّجدُّدِ والحصولِ، والمتعدّي إلى ظهورِ هذا الدّين، ولا يبعُدُ أن يكونَ اسمُ الفاعل المأخوذُ من الفعلِ المتعدّي (أشركَ) قد قُصِدَ به اللُّزومُ، فيكون مُفيدًا حصولَ الشِّرك فيهم على سبيلِ اللُّزومِ وعدمِ الانفكاك.

سرُّ التَّعبير هنا بـ ﴿ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾:

اليهودُ يُغطّون البشاراتِ، والمشركونَ يكرهونَ ظهورَ الآيات

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ هنا بلفظ ﴿ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾، في قولِه تعالى: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾، في حينِ عبَّر بلفظِ: ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ في ذيلِ الآيةِ السّابقة؛ لأنَّ الآيةَ السّابقة كانت تتكلَّمُ عن اليهود الَّذين راموا إطفاءَ نورِ الإسلام من خلالِ إنكارِ البشارات بنبوَّته، وتحريفِ النُّصوصِ الَّتي أخبرَتْ عن مَبعَثِه ﷺ، فكانوا كافرينَ مُغطّينَ للحقيقة النّاصِعة، مُطفِئينَ لها، فهم المقصودونَ بالكافرين، في حينَ كان النَّظمُ هنا يتحدَّثُ مع المشركينَ عُمومًا؛ سواءٌ كانوا من أهلِ الكتاب أو مِن أهلِ مكَّةَ بقرينة: ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، فاختارَ الوصفَ المناسبَ لهم، وهو الإشراكُ باللّه تعالى الَّذي يَمنَعُهم من الإيمانِ، قال الطَّيبيُّ: "والتَّناسبُ بينَ الكُفرِ والإطفاء؛ لأنَّ الكفرَ التَّغطيةُ والسَّتر، وبينَ الشِّرك ودينِ الحقِّ؛ لأنَّ دينَ الحقِّ التَّوحيدُ"(1)، وجوَّز ابنُ عطيَّة تعليلًا آخر، عبَّر عنه بقوله: "وخُصَّ ﴿ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ هنا بالذِّكر؛ لمّا كانت كراهيَةً مختصَّةً بظهورِ دينِ محمَّد ﷺ، فذكرَ المُعظَم والأوَّلَ ممَّن كَرِهَ ذلك، وصدَّ فيه، وذكرَ ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ في الآيةِ قبلُ؛ لأنَّها كراهيَةُ إتمام نور اللّه في قديم الدَّهر، وهي باقيةٌ، فعَمَّ الكُفرَ من لَدن خَلْق الدُّنيا إلى انقراضها"(2).

دلالةُ الاحتباكِ في ﴿ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾:

المُشركون كالكافرينَ في كراهةِ الإتمام والظُّهور لهذا الدّين

ذهبَ ابنُ عاشور إلى أنَّ النَّظمَ الكريمَ خصَّ (المشركين) بالذِّكر في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾؛ "إتْمامًا لِلَّذينَ يَكرَهونَ إتمامَ هَذا النّورِ، وظُهورَ هَذا الدِّين على جَميعِ الأديانِ، ويُعلَمُ أنَّ غَيرَ المُشركينَ يَكرَهونَ ظُهورَ هَذا الدِّينِ؛ لأنَّهُم أرادوا إطفاءَ نورِ الدّينِ، ولِأنَّهُم يَكْرَهونَ ظُهورَ هَذا الدّينِ، فَحَصَلَ في الكَلام احتباك"(3).

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 7/ 203.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 26.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 193.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والستون،
سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 61 ، 814 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-645-72-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 61 : المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-645-72-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6860354 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"